من تراب الطريق!

(٢٢٤) الماضى، بين الروابط والأساطير ! (*)

ترى ما الذى كان عليه الكون قبل وجود الروابط القابلة للتعقل بين مكوناته - أعنى ما يقبل التكرار ويذعن للإعادة والانتظام والنظام ؟ .. هذه الروابط القابلة للتعقل هى خيوط الوجود وجسوره وطرقه - لايستغنى عنها ولا يمكن أن يستغنى عنها شىء مما نسميه خيراً أو شراً، وهى التى يتجه منها وإليها ويستعملها ويلتقى فيها - كل ما يمكن وصفه بأنه خير وشر .. لأنها هى جسور وخيوط وطرق مشتركة للخير والشر معاً .. ولوحدة الكون الذى يمكننا تعقله .. ولأن تكوين الكائن الحى قائم كله على أساس وجود الروابط وقابليتها للتنقل وللتكرار والإذعان للإعادة والانتظام والنظام .. ولا فرق فى ذلك بين الآدمى وبين "الميكروب" .. وهذا يكاد ينطبق تماما على الكائنات غير الحية إذا توسعنا فى معنى الإذعان والاعتياد والوجود والكون والنظام !

* * *

هذا وتنقية الماضى من الأساطير التى فقدت وظيفتها ولم تعد لازمة ولا نافعة لحياة الآدمى فى واقع حياته - عمل واجب .. لكنه ليس سهلاً ولا خاليا من المخاطر . لأن الأساطير تبنى عليها عادات فكرية وسلوكية وأذواق وقيم ونظم ومهن وحرف، ويُبنى عليها ثقافات وعمران وحضارات وتواريخ وأديان وعلوم وفنون .. كما يُبنى عليها أخلاق ومشارب وفوارق ومميزات وعصبيات وقرابات واختلافات وعداوات .. ويُبنى عليها مدن

(*) المال ٢٠٠٩/٣/١١

وقرى وحدود وحُصُون .. وبُنى عليها لغات ورموز وشارات وأعلام . إذ الأساطير أبكار أهدتها وتهديها المخيلة إلى عقل الآدمي وعواطفه وروحه - بلا انقطاع . كما يهدى المبيض بويضاته إلى الرحم ثم إلى دنيا الأحياء !

* * *

لو عرف الإنسان طعم ما يقوله أو ما يفعله أو ما يحس به قبل أن يقوله أو يفعله أو يحس به معرفة تامة - لأصبح قديماً ولاستغنى عنه، ولتوقفت مسيرة حياته بتوقف الجدة والجديد فيها .. وهما ما يحرك ويوقظ رغبة الإنسان فيها وجاذبيتها له . وخوفه من هذا الجهل الجزئى الملازم لكل نشاط نمارسه منذ أن نولد إلى أن نموت - هو أساس كل توقع وكل أمل وكل خوف وكل حركة حية وكل سكون حى !